رمضان

و

القرآن

أ.أناهيد السميري

آخر لقاء من الدورة الصيفية

يوم الأربعاء 17 شعبان 1434

بسم الله الرّحمن الرحيم

أخواتنا الفاضلات، إليكن سلسلة تفاريغ من دروس أستاذتنا الفاضلة أناهيد السميري حفظها الله، وفّق الله بعض الأخوات لتفريغها، ونسأل الله أن ينفع بها، وهي تنزل في مدونة (عِلْمٌ يُنْتَفَعُ بِهِ)

https://anaheedblogger.blogspot.com/

تنبيهات هامة:

- ✓ منهجنا الكتاب والسّنة على فهم السّلف الصالح.
- ✓ هذه التّفاريغ من اجتهاد الطّالبات ولم تطّلع عليها الأستاذة حفظها الله.
- ✓ الكمال لله –عزَّ وجلَّ–، فما ظهر لكم من صواب فمن الله وحده، وما ظهر لكم فيه من خطأ فمن أنفسنا والشّيطان، ونستغفر الله.

والله الموفّق لما يحبّ ويرضى.

عناصر الدرس:

1. نحن في نعمة من الله أن منَّ علينا بمثل هذا الشهر الكريم، فمن الواجب علينا أن نحب رمضان ونفرح به.
2. هذه الفرصة علينا أن نغتنمها كما يحب الله ويرضى.
3. {إِنَّ الَّذِينَ لا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا وَرَضُوا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاطْمَأَنُّوا بِهَا وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ آيَاتِنَا غَافِلُونَ} هذه الصفات الأربعة من اتصف بها دل على ضعف إيمانه أو فقده.
4. أعظم الفرص التي وهبها الله لخلقه هي هذا الشهر العظيم، وسبب فضله.
5. وقفة من الحديث: ((مَنْ صام رَمَضَانَ إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِه)) وأن فيه فعل وشرط ووعد. وتوضيح لمعنى إيمانًا واحتسابًا.
6. ما يشعر بقيمة الوعد إلا من كان اللقاء على باله ورجاه وآمن به ((((مَنْ أَحَبَّ لِقَاءَ اللهِ، أَحَبَّ اللهُ لِقَاءَهُ ...)).
7. العناية بالقلب قبل رمضان وتجهيزه لاستقباله ((إن في الجسد مضغة...)).
8. التوفيق في الأعمال الصالحة إنما يكون بقوة استعانتك.
9. ذكر بعض الأحاديث في فضل رمضان.
10. كيف أقرأ القرآن قراءة تسبب لي قوة الإيمان؟
11. ماذا يشغلني في القرآن؟
12. ختمت بخمسة وصايا.

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

نحمده-سبحانه وتعالى-ونشكره ونسأله مزيدًا من عطاياه وهو-سبحانه وتعالى-وعَد مَن شكره بالمزيد {لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ}[1].

ونحن في ختام دورتنا هذه التي استمرت أربعة عشر يومًا، أنعم الله فيها علينا بمدارسة القرآن وقد تدارسنا سويًا سورة يونس، ومتَّعنا الله بكلامه أسأل الله-عزَّ وجلَّ-أن تكون هذه المتعة قربة له فهو-سبحانه وتعالى-الذي أمر {قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ}[2] وإذا ذقت طعم القرآن والفرح بفهمه وبفهم كلام الله فقد دبَّ الإيمان، فإن الإيمان بالله مصدره اليقيني هو (العلم عن الله)، والعلم عن الله مصدره (كتاب الله)، من يؤمن بالله لابد أن يعلم عن الله، والذي يريد أن يعلم عن الله (فليعلم عن الله من كتاب الله)، فإذا بدأ الشأن أنك بدأت تفهم كلام الله فمعناه أنك بدأت تعرف أسماء الله-عزَّ وجلَّ-وصفاته.

مَن درَس كلام الله ففهمه، فقد عرف الله، ومن عرف الله، فقد بدأ طريق الإيمان

فاللهمّ اسلك بنا طريق الإيمان، واشرح صدورنا له، اللهم اجعل القرآن الكريم ربيع قلوبنا ونور صدورنا وجلاء أحزاننا وهمومنا. اللهم آمين.

ويترتّب على ذلك أننا لابد أن نخطط لعلاقتنا بالقرآن في شهر رمضان الذي هو شهر القرآن

وهذا الموسم العظيم من مواسم الرحمة والعطايا والمنن لابد أن نستقبله استقبالًا يليق به، فهو-سبحانه وتعالى-الذي أنعم بهذا الموسم علينا، وهو-سبحانه وتعالى-الذي يحب أن نغتنمه، ولا يغتنم مثل هذه المواسم إلا من امتلأ قلبه إيمانًا، فإذًا معنى هذا:

1. نحن في نعمة من الله أن منَّ علينا بمثل هذا الشهر الكريم-هذا وحده نعمة-فمن الواجب علينا أن نحب رمضان ونفرح به.

---

(1) [سورة إبراهيم: 7]

(2) [سورة يونس: 58]

2. وهذه الفرصة علينا أن نغتنمها كما يحب الله ويرضى، فإذا بدأنا بالكلام عن النعمة نقول:

ما يشعر بالنعمة إلا (من كان في قلبه إيمان)، والذي ضعُف إيمانه فاتصف بصفات جمعت في هذه الآية الكريمة التي ستكون مدار نقاشنا، سيكون هذا العبد ممن لا يجد حلاوةً ولا فرحًا في بهذا الشهر، والله يقول: {إِنَّ الَّذِينَ لا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا وَرَضُوا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاطْمَأَنُّوا بِهَا وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ آيَاتِنَا غَافِلُونَ}[1].

إن هذه الصفات الأربعة، صفات إذا اتصف بها العبد دلَّ ذلك على:

1. إما فقدانه الإيمان.
2. أو ضعف الايمان.

{إِنَّ الَّذِينَ لا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا وَرَضُوا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاطْمَأَنُّوا بِهَا وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ آيَاتِنَا غَافِلُونَ} إن الاستعداد لرمضان إنما هو تابع **لشعورك أنك لابد أن تلقى الله**، لابد أن يأتي اليوم الذي تلقى الله، تكلمه ما بينك وبينه ترجمان، إن شعورك أن رمضان (فرصة) مبنية على إيمانك بأن هناك قوم يحاسبون حسابًا يسيرًا وقوم يحاسبون حسابًا عسيرًا، وأنك تودّ أن تفعل الأفعال التي تسبب لك أن تحاسب حسابًا يسيرًا.

1. {إِنَّ الَّذِينَ لا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا} لا يستعدون، لا يفهمون، لا يتصورون، ولا يرغبون. هذه المشاعر كلها سبب في أن العبد لا يعتني بالفرصة التي تأتيه وهي شهر رمضان.

المعنى؛ أن من تيقّن باللقاء استعدّ له، ومن عرف أنّ الرحمن-سبحانه وتعالى-وهب الخلق عطايا من أجل أن يسهل عليهم اللقاء اغتنمَ رمضان، فهذه ثلاثة مفاهيم مركبة على بعضها.

إذا كنت **ترجو لقاء الله**، و**تعرف أن في ذاك اليوم ستكلم الله** ما بينك وبينه ترجمان، وتعرف أنك في ذاك اليوم إما أن تكون ممن يحاسب حسابًا يسيرًا وإما أن تكون ممن يحاسب حسابًا عسيرًا، وتعرف أن في ذاك اليوم هناك من يأخذ صحائفه بيمينه وهناك من يأخذ صحائفه بشماله، وتعرف عن ذاك اليوم ما يجب أن تعرفه، إذا كنت تعرف هذه الأمور، **متيقِّنًا باللقاء**، راجيا أن يكون لقاءك مع الله، لقاء فيه الرضا والرحمات والبركات. **إذا كنت تؤمن بهذا اليوم وترجوا هذا الرجاء ستبحث عن الفرص التي تجعل ذلك اليوم يوم طيب عليك، تلقى الله وهو عنك راضٍ.**

(1) [سورة يونس: 7]

بمعنى أن الذي يرجو اللقاء يبحث عن الفرص فإذا أتت الفرصة فتَّشت فيها كيف تتعامل معها معاملة تجعلك تغتنم دقائق هذه الفرصة.

{إِنَّ الَّذِينَ لا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا وَرَضُوا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاطْمَأَنُّوا بِهَا}

الذي يرجو لقاء الله يبحث عن الفرص التي تجعل هذا اللقاء طيب، تجعل هذا اللقاء لقاء خير وبركة، فإذا وجد الفرص اغتنمها، فمن فكر هذا التفكير علم أن أعظم الفرص التي وهبها الله لخلقه هي هذا الشهر العظيم

أعظم الفرص التي وهبها الله لخلقه هي هذا الشهر العظيم

لماذا؟

- لما يجتمع فيه من خيرات.
- لما يجتمع فيه من بركات.
- لما يحبس فيه من أعداء.
- لما تفتح فيه من أبواب.
- لما يضاعف فيه من أجور.

فماذا يعتبر هذا بالنسبة لك؟

فرصة عظيمة إذا كنت تفكر في اللقاء

لكن إذا كنت غافلًا عن اللقاء ستمر الفرص وراء الفرص ولا تفكر!

فالذي يدفعك لحسن اغتنام الفرصة قوة إيمانك بلقاء الله

فإذا قوي الإيمان اغتنمت أنفاسك واغتنمت الأيام السابقة للفرصة وتقربت إلى الله بمشاعرك وعبدت الله في هذه الأيام بعبادة الفرح، بفرصة قادمة تضاعف فيها الأجور، ويحسن فيها حال العبد، وترتفع منزلته عند ربه ويذكره مع الذاكرين ويشكره وهو الغفور الشكور.

إذًا سنجمع في أنفسنا (قوة اليقين أننا سنلقى ربنا) فإذا حركنا في أنفسنا هذه المشاعر أحسنَّا إلى أنفسنا، هذه المشاعر ستدفعنا إلى اغتنام الفرص، هذه الفرص عليك أن تفتش فيها تفتيشًا دقيقًا، ولذلك عندما ننظر في فضل رمضان

سنجد أول حديث يتكرر دائمًا بيننا في الكلام عن فضل رمضان أَنَّ النَّبِيَّ اللَّهِ-صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-قَالَ: ((مَنْ صام رَمَضَانَ إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِه))[1].

وهذا الحديث على تكراره نحن نحتاج كل عام نعيش فيه فنستقبل رمضان أن نكرر على أنفسنا مفاهيمه، فهذا الحديث فيه فِعْل رُتِّب عليه وعد، لكن الفعل له شرط، يعني: **فعل وشرط ووعد**.

- **الفعل: صام رمضان.**
- **الشرط: إيمانا واحتسابا.**
- **الوعد: غفر له ما تقدم من ذنبه.**

هذا الوعد الذي تسمعه "أن يُغفر لك ما تقدم من ذنبك" لن تشعر بقيمته

⇦ إلا إذا كنت تحمل هم اللقاء

لن تشعر بقيمة أن يُغفر لك وتمحى عنك ذنوبك تمام المحي، وتلقى الله وأنت ذا صحيفة بيضاء، فتكون ممن فاز في الحياة، ما تشعر بقيمة رمضان إلا إذا كنت مستعدًا لِلّقاء.

إن ذاك اليوم العظيم عندما يأتي وقت البعث، وتنبت الأبدان نباتًا من الأرض بعد أن يُمطر الله-عزَّ وجلَّ-عليها مطرًا، ثم عندما تأتي النفخة فتلتقي الأرواح بالأبدان يعود الإنسان كما كان تمامًا، إلا أن الفارق هو أن كل شيء كان لا يراه الآن يصبح يراه، كل الخلق الذين سبقوه أو لحقوه سيراهم، الملائكة تراهم كل مخلوقات الله، يبقى هو الإنسان نفسه الإنسان لكن ذا قوة مختلفة.

ومن ذلك أنه في ذاك اليوم يرى أعماله، يراها، يفحصها، يطير إليه كتابه؛ فينظر في كتابه فيرى أعماله وسيجد كتاب لا يغادر صغيرة ولا كبيرة، ومن العجب أن الصغيرة ذكرت قبل الكبيرة: {لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا}[2].

وذاك اليوم تبلو كل نفس ما أسلفت، تفحص ما أسلفت، تفحص الأعمال التي قامت بها. فهذا اليوم أحسن حال فيه (أن تلقى الله وقد غفر لك الذنوب)، تكون سُترت العيوب وذهبت آثار الأعمال وبقي للعبد شكر الله على الأعمال الحسنة.

(1) متفق عليه، أخرجه البخاري (2014)، ومسلم (760)

(2) [سورة الكهف: 49]

ولذلك من إحسان الله لخلقه ومن فضله ومن عطيته أن جعل التوبة والاستغفار أوسع الأبواب، التوبة وظيفة العمر ومغفرته-سبحانه وتعالى-جزاء للأعمال العظيمة، وهذا كله لتلقى الله في ذاك اليوم العظيم وأنت قد أتيت وصحيفتك مستورة مغفورة ذاك هو الفلاح.

فمن شعر بتفاصيل ذاك اليوم وبما يحصل في ذاك اليوم من شيء عظيم، ومن كانت الآخرة على باله وليس من القوم الذين لا يرجون لقاء الله، شعر بمعنى هذا الوعد: ((غفر له ما تقدم من ذنبه)).

لا يشعر بقيمة الوعد إلا من كان اللقاء على باله ورجاه وآمن به، لذلك النبي-صلى الله عليه وسلم-يقول كما في حديث عائشة-رضي الله عنها-: ((مَنْ أَحَبَّ لِقَاءَ اللهِ، أَحَبَّ اللهُ لِقَاءَهُ وَمَنْ كَرِهَ لِقَاءَ اللهِ، كَرِهَ اللهُ لِقَاءَهُ))[1].

فنسأل الله أن نكون من أولئك القوم الذين أحبوا لقاء الله بما وقع في قلوبهم من ذكر الدار الآخرة، وبقي ذكر الدار الآخرة على بالهم. فإن غياب الدار الآخرة تميت المشاعر تجاه الأعمال الصالحة، فتصبح تعمل وأنت فاقد شعورك!

عدم ذكر الدار الآخرة يجعل العبد يعمل الأعمال وهو فاقد لمشاعره تجاه الأعمال

1. أين ستنفعه؟
2. كيف ستنفعه؟
3. ماذا يحصل عندما يلقاها عند ربه؟ - كل يوم من رمضان هذا -
4. ساعاته كيف سيجدها في ميزانه؟
5. كيف تكون سببًا لإبعاده عن النار؟

هذا التفكير يولد شعور تجاه العمل الصالح الذي تقوم به

أما أن يكون العمل الصالح (مجرد عادة) يتحرك بها الإنسان ولا يكون وراءه مشاعر حقيقية بالإيمان، فهذا يفقد عملك أمرين:

يفقد عملك الأجور المترتبة عليها؛ لأن الأجور مترتبة على الأعمال الصالحة إنما هي على قدر وجود الشرط ((إيمانًا واحتسابًا))، فلذلك لابد أن تفهم ((إيمانًا واحتسابًا)) حتى تعرف هذا الأجر كيف يترتب.

(1) متفق عليه، أخرجه البخاري معلقاً بعد حديث (6507)، وأخرجه موصولا مسلم (2684).

إذًا مجرد أنك تعمل الأعمال بدون مشاعر، سيفقدك الأجر المرتب عليها! ثم سيأتي أمر مهم وستذهب (الهمة). وهذا الأمر–ذهاب الهمة–سبب واضح جدًا أو حالة واضحة جدًا نعايشها: فإن الناس غالبًا يدخلون رمضان وهم أصحاب همة لكن الهمة هذه أتت من (الحماس فقط) ثم ما يأتي عشرة رمضان إلا وقد ذهبت، ثم يبذلوا جهودهم أن يشحنوا أنفسهم للعشر الأواخر فما تمرّ ليلة السابع والعشرين–وهذا إذا ما خرجت إشاعة أن ليلة القدر قبل–ثم تذهب الهمة من جديد! وهذا ليس طريق المؤمنين أبدًا! بل كلنا نعرف أن الإيمان يزيد بالأعمال الصالحة، وعندما يزيد بالأعمال تزيد أنت إتقانًا للعمل.

وعلى هذا فكّر، أكيد أن اليوم الثاني من رمضان لو صُمت أول يوم كما ينبغي سيكون اليوم الثاني أحسن من اليوم الأول من جهة الإيمان؛ لأنك صُمت وصليت وذكرت وقرأت القرآن وبذلت، فلو مشيت بهذه الطريقة الصحيحة سيكون من أحسن أيامك آخر يوم في شهر رمضان، بل سيتم لك الخيرية في واحد شوال.

لكن الحال التي تحصل تقول الأمر على خلاف ذلك!

فنحن نسير بالطريقة العكسية، فكثيرًا من الناس يكون في اليوم 29 من شهر شعبان خير منه في واحد شوال؛ فنجد واحد شوال هذا يوم النوم عن الصلوات، تجده يوم اللهو والبعد عن الله وعن ذكر الله!

فهل يمكن أن يتحول الإنسان من الإيمان والأعمال الصالحة وقيام الليل إلى النوم عن الفرائض جملة واحدة؟! إلا أنه كانت الأعمال مجرد عمل ضعيف من جهة الشعور، فما بقي شعور بالإيمان ولا نفع صاحبه.

فلذلك اسمع جيدًا الحديث، هذا النص لو فهمته جيدًا ستخرج بهذه النتيجة:

((من صام رمضان)) هذا الفعل، وشرطه أن يكون في قلب الصائم أمران:

1. أولًا: إيمانًا
2. ثانيًا: احتسابًا

سيكون الأثر ((غُفر له ما تقدم من ذنبه)).

الآن نفكر في العمل والأثر ثم نفكر في الشرط، والشرط هو عماد نقاشنا.

- العمل هو الصيام
- والأثر غفر له ما تقدم من ذنبه

إذا كنت تفكر في الدار الآخرة فـ ((غفر له ما تقدم من ذنبه)) ستكون عظيم نعمائك!

النعمة العظيمة التي تحبها وتشتاق إليها وترجوها، ستكون بالنسبة لك غاية الغايات، أمر عظيم ستشعر أن المغفرة التي ستلقاها هي التي تريدها، هي التي تنتظرها؛ لأنك تعلم أن في ذاك اليوم موقف عظيم تريد أن تقبل على الله وأنت قد سُترتَ، سُترت ذنوبك، هذا يجعلك شديد الحرص على تحقيق الشرط.

يعني النتيجة التي تجدها وهي (أن تغفر ذنوبك) لن تشعر بها إلا إذا كنت (ترجو لقاء الله).

شعرت بهذه النتيجة وشعرت أنه مهم جدًا أن تُغفر لك الذنوب وشعرت بصحيفة سوداء سيأتي رمضان فماذا يفعل بها؟ يجعلها بيضاء.

شعرت وأنت ينادى عليك باسمك يا فلان ابن فلان هلمّ إلى الموقف العظيم! هلم يحاسبك الله! وتأتي الملائكة تأخذك لتقف في ذاك اليوم تطير القلوب من مكانها، فإذا كان هذا التفكير الموجود في الذهن فأكثر شيء يهمك أن تأتي بصحيفة قد سترت عليك، عندما تهتم بلقاء الله، ستهتم بهذا الوعد الذي رتب.

لكن عندما يكون لقاء الله غير موجود في النفس يعني {الَّذِينَ لاَ يَرْجُونَ لِقَاءنَا وَرَضُواْ بِالْحَياةِ الدُّنْيَا وَاطْمَأَنُّواْ بِهَا} فكل الذي يريد أن يهتم به ويبيضه ويحسنه هو الدنيا، حتى في رمضان الدنيا تغلبه ويبقى تفكيره ممزع داخل الدنيا وهو في شهر إذا تحقق له فيه الفلاح غفر له ما تقدم من ذنبه!

فالمقصد الآن أن شعورك بالأجر المرتّب هو الذي يورثك تحقيقًا للشرط.

الآن نفكر في الشرط، حتى يتحقق لك صيامًا وراءه مغفرة الذنب عليك أن تصوم (إيمانًا واحتسابًا).

ما معنى إيمانًا؟ وما معنى احتسابًا؟

فأما الإيمان: فهو ما ذكرنا وهو ما يجب عليك أن تفكر فيه، فإن الإيمان مبدؤه ومطلعه هو الإيمان بالله، هو معرفة عظمة الله، هو معرفة جلاله-سبحانه وتعالى-وجماله، هو معرفة ما يجب على الخلق أن يعيشوا فيه في حياتهم متعاملين مع ربهم، إن سلامة اعتقادك في كمال صفات الله، ومعرفتك لله، معرفتك أنه الغفور الودود الرحيم الكريم، أنه ذو العرش المجيد، أنه فعال لما يريد، معرفتك لهذا تورثك إيمانًا.

فإذا حصل هذا الإيمان، وشعرت بكمال صفات الله-عزَّ وجلَّ-، سيكون بحثك وجِدّك في رضاه، إذا شعرت بعظمته، بجلاله، بسلطانه، إذا عرفت من ربك الذي ستلقاه، هذا الشعور سيورثك سعيًا حثيثًا في طلب رضاه.

لكن ضعف معرفة الله أورثت القلوب عدم فهم لحلم الله ولعطايا الله ولمنَّة الله، فرضِينا بالدنيا وشعرنا أن وجودها دليل رضا الله وما علمنا عن الله ما يجب أن نعلمه!

لو كانت الدنيا عند الله شيء ما كان موسى-عليه السلام-وهو الرسول الذي سيجتبيه الله ويكلمه ويميزه عن غيره يستند إلى الشجرة وقد سارَ أكثر من أربعين ليلة على قدميه ومن ثم يقول: {رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنْزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ}[1]،

لو كانت الدنيا شيء لأعطى الأنبياء والرسل، لرفع هؤلاء العظماء في إيمانهم! لكن الدنيا ليست بشيء؛ فلا تظن أبدًا فهمًا خاطئًا عن الله أنه لو أعطاك من الدنيا وأرضاك فيها أن هذا دليل على رضاه، -هذا ليس دليلًا على رضاه ولا دليلًا على سخطه-.

بل حالك مع الله:

- من جهة تعظيمك لله ومن جهة إجلالك له.
- من جهة إيمانك بكماله.
- ومن جهة ذكرى لقائه.

هذا الذي يدل على إيمانك، هذا الذي يدل على رضا الله، فالله ينسي القوم الذي نسوه مصلحة أنفسهم؛ فتجدهم يجرون وراء مصالح زائلة ويتركون ما ينفعهم على الحقيقة!

فالأمر الآن أن رأس الإيمان الذي هو شرط أن تؤمن بالله أن تؤمن بكماله وجلاله وجماله أن تؤمن بعظيم صفاته أن تؤمن به ربًا كريمًا رحيمًا لطيفًا قريبًا مجيبًا، أن تؤمن أنك لو سرت على الطريق الذي يرضيه طابت نفسك وطابت حياتك وأنك لابد أن تلقاه.

فأصبح رأس الإيمان: أن تؤمن بكمال صفات الله ويلحق هذا الإيمان أن تؤمن بلقاء الله.

من جمع لنفسه بين الإيمان بالله والإيمان بلقاء الله، وبقيت ذكرى الدار الآخرة على باله دائمًا فقد حقق الشرط الأول وهو شرط الإيمان "من صام رمضان إيمانًا" إيمانًا بمن؟ إيمانًا بالله وإيمانًا بلقائه، وهذا الإيمان سيورثك الحرص على الأعمال التي ترضيه، لكن عدم تعظيم الله في القلوب عدم الشعور بجلاله-سبحانه وتعالى-سبب رئيس بأن تصبح الأعمال (مجرد عادات) اعتاد عليها الخلق، فلا يتحرك القلب للتقرب للرب، وهذه بنفسها أزمة نعيشها كثيرًا في حياتنا أننا ما نشعر بعظمة الله ومن ثم نقوم بالأعمال بدون شعور أني أريد أن أقترب وأن يرضى عني.

إن الإيمان بالله سبب رئيس لأن يكون هم العبد رضا الله، الإيمان بالله ومعرفة كماله-سبحانه وتعالى-وجلاله سبب رئيس لأن يكون هم العبد رضا الله، فعندما يقوم هذا العبد بالعمل يفكر في كل قربة يتقرب بها إلى الله ويرضيه.

(1) [سورة القصص: 24]

وأما احتسابًا: معناه: أن العبد ينظر لكل دقيقة من دقائق أعماله ويحتسبها على الله، أي: يشعر في قلبه أنه أراد بهذا العمل أن يرضى الله عنه، يتقرب إلى رضاه، فهو يحتسب كل عمل أنه يقربه إلى الله، فعبد يؤمن بكمال الله وجلاله يسعى جاهدًا أن يرضي الله قد جمع لنفسه بين الإيمان بالله والاحتساب على الله.

مرة أخرى: الآن أنت أمامك شرطين لابد من تحقيقهما من أجل أن يكون أثر صيامك هو المغفرة:

الشرط الأول: أن تكون إيمانًا، بين أمرين:

1. **تؤمن بالله** وبكمال عظمته جلاله، أي أنك تحتاج إلى سيال من معرفة الله تذكر نفسك بالله الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن العزيز الجبار المتكبر لكن ليست كلمات (إنما معاني استقرت في قلبك) فلذلك تقرَّب إلى الله بمعرفته، اقرأ كتاب الله وانظر كيف يدبر الأمر، انظر كمال صفاته في كل شيء
2. هذا الإيمان–الإيمان بكمال صفات الله–لابد أن يقابله **الإيمان بلقاء الله.**

إذًا: العظيم الذي تعرفه لابد أنك ستلقاه، بين معرفته وبين لقائه أمورًا عليك أن تفعلها هذه الأمور التي تفعلها تشعر فيها أنك تريد أن تتقرَّب للملك العظيم، تريد أن يرضى عنك الملك العظيم، تريد أن يذكرك الملك العظيم، تريد أن يرتفع مكانك عند الملك العظيم، فأنت شاغلك مكانتك عند الله، فبين الإيمان وبين الاحتساب (بين إيمانًا واحتسابًا) هناك عبد يشغله مكانه عند ربه، أكثر شيء يهتم به ما سُمعته في السماء كما ورد في الحديث: ((ما من عبدٍ إِلَّا ولهُ صِيتٌ في السماءِ ، فإنْ كان صِيتُهُ في السماءِ حَسَنًا ، وُضِعَ في الأرْضِ ، و إنْ كان صِيتُهُ في السماءِ سيِّئًا ، وُضِعَ في الأرْضِ))[1].

فالذي ينشغل في حياته بسمعته في السماء عند رب الأرباب وعند الملائكة العظام فقد جمع بين الإيمان بالله وبلقائه، وبين الاحتساب على الله، بين الإيمان وبين الاحتساب، يعني هناك مسافة بين الايمان والاحتساب ما هي هذه المسافة؟ أن تكون مهمومًا بمكانك عند الله، مهمومًا من تكون عند الله.

(1) أخرجه البزار (9202)، والطبراني في ((المعجم الأوسط)) (5248)، وابن عدي في ((الكامل في الضعفاء)) (163/2) باختلاف يسير، وصححه الألباني.

فمن آمن بالله وبعظمته وبجلاله وبكماله وبقدرته وبتدبيره وبملكه وسلطانه، وامتلأ قلبه بهذا كله وعرف أنه عبد ضعيف، أمره بيد الله، اشتغل بسمعته عند الملك العظيم، الرب الكريم، فإذا اشتغل بسمعته عند الملك كان أكثر شيء يهمه أن يحسن في هذا وفي هذا وفي هذا في دقائق شؤونه.

يحتسب أن ينظر إليه الملك فيرضى عنه لكن:

{إِنَّ الَّذِينَ لا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا وَرَضُوا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاطْمَأَنُّوا بِهَا وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ آيَاتِنَا غَافِلُونَ}.

هذه الصفات تفقد الإنسان طرفي المسألة شرطي حصول هذا الأجر، أي أن الإنسان الذي لا يرجو اللقاء أو لا يعتني به أو ضعيف إيمانه باللقاء أو ذكر اللقاء ليس دائم على ذهنه سيجر هذا أنه سيهتم بالدنيا!

ما يفكر في اليوم العظيم الذي سيأتي أو يفكر تفكيرًا مرعبًا، فيخوفه الشيطان فما يجعله يفكر بالطريقة الصحيحة،

الطريقة الصحيحة أن تقول لنفسك: في ذاك اليوم يوجد كاسب ربحان ويوجد خسران. أنت تريد أن تكون ماذا؟ كاسب؟ ما تريد أن تكون خسران، هناك خطة تعيشها في حياتك من أجل أن تصل وتكون ممن ربح، فكر تفكيرًا جادًا ولا تهرب من التفكير: مَن أنت وأين ستكون؟ ولا تجعل ما سيكون سببًا لأن تهرب، بالعكس لابد أن نواجه أنفسنا بما سيكون؟ وتذكير أنفسنا بما سيكون هو معنى إيماننا باليوم الآخر!

يعني: ما يكون العبد مؤمنًا باليوم الآخر إيمانًا حقيقيًا قويًّا يدفعه للقاء الله إلا إذا كانت هذه الأحداث–أحداث اليوم الآخر–أمام عينيه؛ ولهذا عندما تسمع في مدح الأنبياء تسمع في سورة (ص) أن الله أخلصهم بخالصة ذكرى الدار، باقي في عقولهم وفي أفئدتهم ذكرى الدار الآخرة! فذكرى الدار الآخرة تصلح حياة العبد وذكرى الدار الآخرة ما تكدر حياتك أبدًا، إنما تطيِّب حياتك لأن من ذكر الدار الآخرة فأتاه أي نعيم يتمتع به الآن، سيقول: وفي الآخرة أنعم منه.

كلَّما ذاق طعم شيء فذهب ذوقه (طعم شيء أعجبه) ثم ذهب طعمه أو ذهب الشيء الذي كان يطعمه يقول: في الآخرة سأجد خيرًا منه. فتطيب حياتك، وأما إذا ذقت مرارة الحياة وآلامها فتطيِّب خاطر نفسك بأن ما ستلقاه عند ربك خير مما هو موجود!

إن ذكرى الدار الآخرة تطيِّب الحياة فلما الهرب من ذكراها؟ إنما الهرب بسبب ضعف الإيمان، ضعف أن هذه حقائق لابد أن تكون، وضعف الإيمان هذه كلمة رغم أننا نتداولها لكننا حقيقة لا نشعر بها!

وسنضرب مثالًا ربما هذا المثال يظهر لنا الأمر ويقرِّبه لنا:

تصوري نفسك في طائرة في السماء ثم إن هذه الطائرة-كما هو معروف-تركبينها وتصعدين إلى السماء وغالبًا أن الناس ينسون أنهم في السماء، ويمكن أنهم يقومون من كراسيهم ويتحركون داخل الطائرة، تخيلي أن هذه الطائرة ممراتها شفافة، ستنظرين إلى ماذا؟ إلى الأرض! ماذا يقع في قلب العبد؟ خوف! أنت كنت في هذه الحقيقة منذ زمن، أنت منذ أن ركبت الطائرة وأنت فوق والأرض تحت، لماذا لما أصبحت الطائرة شفافة شعرت بالخوف؟

لأن الآن انكشفت الحقائق، أصبح بينك وبين الأرض حاجز الطائرة حجزك عن الأرض، لكنها أصبحت شفافة من جهة الرؤية (فقط من جهة الرؤية)، نفترض أن المادة هذه مادة تشبه الحديد في سماكتها في قوتها في كل شيء لكن الفرق فقط أنها شفافة! فماذا سترى؟ سترى أمرًا عظيمًا، ماذا سيقع في قلبك؟ هول!

هكذا أنت في الأرض وما ستلقاه في السماء، لو كان الإيمان قوي سيصبح ما ستجده كأنه بينك وبينه حاجز شفاف، فكلَّما نظرت إليه وقع في قلبك الرغبة في الاستعداد، لكن عندما يضعف الإيمان ماذا يحصل في هذا الحاجز؟ يصبح سميكًا، سميكًا، سميكًا، لدرجة أنك تنسى أنك في الأرض أو في السماء، تنسى ما هي الحقيقة، تتوقع أن هذا الموت يخطف الجيران ومن حولك وأنت في استثناء عنه، تتوقع أنك تخبر أنه غدًا يومك، تتوقع التوقعات عندما تواجه نفسك بها تقول: من أين لي هذا التفكير؟! ها هو يخطف من حولي سريعًا وبدون استئذان فلماذا لا نستعد؟!

بسبب ضعف الإيمان!

فالذي نحتاجه حقيقة من أجل أن ننتفع بهذه الأيام والليالي وهذه الفرص (قوة الإيمان)

لا تخطط لنفسك بالساعات والدقائق أن تفعل وتفعل، هنا يوجد قلب ((إِنَّ فِي الْجَسَدِ مُضْغَةً إِذَا صَلَحَتْ صَلَحَ الْجَسَدُ كُلُّهُ))[1] وبورك في الأوقات وانتفع الإنسان من الأعمال وزادته الأعمال إيمانًا وكان مباركًا، لكن كل القضية تدور حول أي شيء؟ حول أن تكون مؤمنًا قوي الإيمان، فانتهى هذا النقاش على أمر مهم: أننا بحاجة أن نشعل في قلوبنا الإيمان.

بيننا وبين رمضان أيام:

1. اعتكف في هذه الأيام على معرفة الله، تعلم عن الله (عن أسمائه وصفاته وأفعاله).
2. اعتني بالقرآن اعتناء من يريد أن يقرأ القرآن ليعرف الرحمن.

(1) متفق عليه، أخرجه البخاري (52)، ومسلم (1599)باختلاف يسير.

3. اعتني بالدار الآخرة وأخبارها، اعتني بأخبار تقول لك: هناك قوم لما تأتي الملائكة تقبض أرواحهم تبشرهم لا خوف عليهم ولا هم يحزنون، تبشرهم لا تخافوا مما ستستقبلون ولا تحزنون مما فاتكم وتركتم ورائكم، هؤلاء الملائكة التي تبشرهم في هذا الموقف تبشرهم أيضًا وقتما تلتقي أرواحهم بأبدانهم في يوم البعث، هناك أقوام يكون هذا حالهم فارغب أن تكون هذه حالك واقرأ في القرآن كيف أصبح هذا حالهم من أجل أن تصل إلى هذه الحال.

إذًا نردد على أنفسنا دائمًا: أن من صام رمضان غفر له ما تقدم من ذنبه، لكن يبقى عليَّ أن أكون ذا فهم دقيق وعميق في فهم الشرط (إيمانًا واحتسابًا)، فالمؤمن إيمانًا حقيقيًّا هو الذي ذكرى الدار الآخرة أمام عينيه، فيدفعه هذا لأن يحسن في أعماله.

إذًا تؤمن بالله وبكماله وتذكر لقاءه ستحسن بين هذا وهذا في الأعمال، ستحتسب على الله الآيات التي ستقرؤها، ستحتسب على الله اللحظات التي صُمتها، ستحتسب على الله الصلوات التي صليتها، كل هذا وأنت تنتظر أن تلقاه فيخرج لك كتاب قد أحسنت فيه.

إذا تبيّن لنا هذا الأمر سنرتب عليه كل شيء بعد ذلك، بمعنى: أن أي كلام سنقوله عن اغتنام رمضان وعن اغتنام الشهر في تلاوة القران هذا كله ليس بشيء (إذا لم يكن القلب مليئًا بالإيمان)! إذًا نحن لابد أن نخطط لأنفسنا قبل رمضان، وفي رمضان كل يوم نزيد إيمانًا.

1. **خطط لنفسك أنك كل يوم تعرف الله باسم من أسمائه.**
2. **خطط لنفسك أن كل يوم تعرف حالًا من أحوال اللقاء كيف يكون الناس في ذاك اليوم.**

خطط لنفسك بأن تجعل المعرفة اليقينية وسيلتك لزيادة الايمان

كيف تزيد إيمانك؟ لن يزيد إلا (بالعلم).

تعلم عن الله، تعلم كيف يكون لقاءه، كل هذا سينفعك بإذن الله في أن تحتسب الأعمال على الله.

بكلام مختصر: هذا الحديث العظيم وصف لنا فعل وأجر ووصف لنا شرط.

1. أما الفعل فهو: الصيام.
2. وأما الأجر فهو: غفر له ما تقدم من ذنبه.

3. وأما الشرط فهو: إيمانًا واحتسابًا.

الذي سيشعر أن رمضان فرصة عظيمة هو المشغول بصحائفه، المشغول بلقاء الله؛ فعندما يقال له: اعمل هذا العمل يغفر لك. سيكون بالنسبة له هذا العمل (عمل عظيم من جهة تفريجه لكربته).

مثلما يقال: لو أتيت في الدنيا وشخص مريض أو له محبوب مريض بعدها قلنا له افعل هذا الفعل يفرج عليك كربة مريضك، فماذا يشعر تجاه الفعل؟ يسارع له، لماذا؟ لأن كربته الذي فيها الإنسان تؤلمه تجعله يسعى في فكاك كربته، فإذا شعرت أنك تسعى لفكاك رقبتك من النار وتفكر في قوله تعالى: {فَمَنْ زُحْزِحَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ}[1] إذا كنت تفكر في هذا، انظر زحزح عن النار يعني (كأنه أمر كان على وشك) فزحزح عن النار وأدخل الجنة فقد فاز، إذا كان هذا الذي يهمك، فعندما تسمع كلمة: (هذا العمل يُغفر لك به) تفرح بالعمل.

فنحن نتقرب في هذه الأيام الفاضلة بالفرح بأن أقبل علينا موسم أثره أن تغفر ذنوبنا العظام، فنلقى الله ونحن مستوري الذنب؛ لأن رقابنا معقودة تحت هذه الذنوب فنسعى لفكاكها، فعندما يقال لك: هذا العمل هذا الشهر سبب لفك رقبتك من النار، ماذا سيقع في قلبك منه؟ الفرح به لو كنت مشغولًا بذاك اليوم.

أما إذا كان هذا اليوم ليس على البال وإنما الدنيا شاغلة لأهلها وخطفتهم، {إِنَّ الَّذِينَ لا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا وَرَضُوا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاطْمَأَنُّوا بِهَا} هؤلاء نقول لهم: سيغفر لكم، ونقول لهم: سيبنى لك بيت في الجنة نقول له: سيذكرك الله؟ هذه الكلمات ما لها بُعد في القلب، ميتة، ليس لها آثار، والسبب؟ (ضعف الإيمان)!

ولهذا الصيام أجره المترتب عليه وهو (غفر له ما تقدم من ذنبه) لا يكون إلا لمن حقق الشرطين: (إيمانًا واحتسابًا).

أي أننا نستطيع أن نأتي بالمعنى العكسي: من صام وليس في قلبه إيمان ولا احتساب ما حُقق له الأجر المرتب على الوعد.

لا يوجد أحد يصوم وهو ليس مؤمن لكن ممكن أن يصوم المنافق نفاقًا أكبرًا! ويفعل مع الناس ما يفعلون ويأتي إلى ذلك اليوم {فَضُرِبَ بَيْنَهُم بِسُورٍ لَّهُ بَابٌ بَاطِنُهُ فِيهِ الرَّحْمَةُ وَظَاهِرُهُ مِن قِبَلِهِ الْعَذَابُ * يُنَادُونَهُمْ أَلَمْ نَكُن مَّعَكُمْ}[2] نصوم ونصلي التراويح {قَالُوا بَلَى وَلَكِنَّكُمْ فَتَنتُمْ أَنفُسَكُمْ وَتَرَبَّصْتُمْ وَارْتَبْتُمْ وَغَرَّتْكُمُ الأَمَانِيّ} حتى ظننتم أن تلاقوا ما يلاقيه المؤمنين وأنتم غير موقنين، ما معنى (غرتكم الأماني)؟ معناه: نصوم مثل صيام الناس، نصوم وربنا يقبلنا، ولا

(1) [سورة آل عمران: 185]
(2) [سورة الحديد: 13، 14]

يوجد يقين ولا ذكرى الدار الآخرة ولا الشوق إلى الله ولا معرفة الله، ولا احتساب الأجر على الله، فيتصور هذا أنه يلاقي الأجر الذي لاقاه المؤمنين وهو ليس من الموقنين.

فالله-عزَّ وجلَّ-يقول على لسان المؤمنين: {وَغَرَّتْكُمُ الأَمَانِيّ حَتَّى جَاءَ أَمْرُ اللَّهِ} عشتم في غرور تظنون أنه مجرد القيام بالأعمال يكفي لقبول الله، والصحيح: ((إِنَّ فِي الْجَسَدِ مُضْغَةً إِذَا صَلَحَتْ صَلَحَ الْجَسَدُ كُلُّهُ)) فالعناية العناية بالقلب.

اعتني بقلبك وجهزه وحضره لرمضان بالفرح بهذا الموسم وشوِّق نفسك لكن ليس بالدنيا في رمضان، إننا كثيرًا ما نقوم بجرائم في حق قلوبنا ونتبادلها أيضًا بالأجهزة، يشوق بعضنا بعضًا لرمضان بالدنيا وبالمأكول وبالمشروب والسهر وبالبعد عن الله! يشوق بعضنا بعض لرمضان بما سيجدونه من الدنيا في رمضان، فأي جريمة هذه ترتكب في حق أنفسنا هذا إذا تحقق فإنما يتحقق عليه وصف الله: أنه أنساهم أنفسهم، نسوا مصالحها، نسوا حقائق الفرص التي أتتهم!

وهذا ما يحول رمضان شهرًا لضعف الإيمان! فيأتي شوال والعبد أسوء مما كان، فيدخل عليه عشرة وخمسة عشر يومًا ما يستطيع أن ينتظم في صلاته ولا في عبادته! وهذه كلها مظاهر خطيرة لابد أن نعالجها قبل أن تأكلنا وتذهب أيامنا ولياليا ونحن نظن أننا أحسنًا، فنكون من الأخسرين أعمالًا نعوذ بالله من حال أهل النفاق.

إذا فهمنا هذا جيدًا بقي هذا الحديث أمام أعيننا وبقينا نخطط له، (تصوم من أجل أن يغفر الله لك ذنبك) هل تشعر بقيمة أن يغفر الله لك ذنبك؟ حرك هذا الشعور؛ لأنه من المهم جدًا أن يغفر الله لك ذنبك أنك تريد أن تلقى الله وصحائفك بيضاء؟ إذًا هات الشرط! ماذا تفعل؟ ازدد إيمانًا فإذا زدت إيمانًا بالله وإيمانًا بلقائه (أي إيمانًا بالله واليوم الآخر) أحسنت في الوسط بالاحتساب! فستكره النوم لأنه يقطع عليك لحظات القربى إلى الله. ستكره الضعف الذي يصيب بدنك فتلزم (لا حول ولا قوة إلا بالله) من أجل أن يستقيم حالك.

الآن هذا الحديث العظيم خرجنا به بنتائج عظيمة تكون بالنسبة لنا كأنها تخطيط لهذه الأيام العظيمة واتفقنا أنه في خلال هذه الأيام التي سنتقبلها من آخر شعبان نعبد الله بعبادة الفرح بهذه الفرصة نطلب من الله أن نكون ممن مد بأعمارهم فبلغوا رمضان، نطلب من الله أن يغفر لمن لم يبلغ هذا الشهر الكريم وقد انقطع بالموت عنه، نسأل الله-عزَّ وجلَّ-أن يجعل رمضان مباركًا ولذلك تأتي هنا عبادة غاية في العظمة وهي: **عبادة الاستعانة**.

أي أنك الآن ستدخل على رمضان مؤمنًا محتسبًا تريد أن يغفر الله لك ذنبك فتأتي بالشرط (تصوم إيمانًا وتصوم احتسابًا)، فمن الذي يعيننا على إيمانًا واحتسابًا؟

ندخل الآن في عبادة مهمة نستقبل بها رمضان وهي (عبادة الاستعانة) فكلَّما ذكرت عبادة، قلت لربنا: أنا أعبدك بهذه العبادة، تقول: إياك نعبد بأي عبادة، فلابد أن تقرب بجانبها (إياك نستعين) فليس بقدرتنا ولا بطاقتنا أن نجمع قلوبنا على ذكرى الدار الآخرة، وليس بيدنا أن نحسن فنحتسب في كل عمل، وليس بقدرتنا نحن أن نصل فنتصرف التصرفات السليمة في الأوقات السليمة.

تمر علينا بعض الأحيان فرص في رمضان لو ما سددنا الله لاغتنامها ما نستطيع اغتنامها، أي: يمر عليك في رمضان فرصة لأن تفرج كربة وفي رمضان، يمر عليك في رمضان أن تفطر صائمًا وفي رمضان، لكن ممكن تمر هذه الفرص تمر ولا تشعر بها ولا تغتنمها، أو تشعر فتفعل لكن لا تحتسب، أو تشعر فتفعل فتختبر فتفسد عملك، التوفيق في الأعمال ليس بأن تخطط لها!

التوفيق في الأعمال الصالحة إنما يكون بقوة استعانتك

(لا حول ولا قوة إلا بالله) كنز من كنوز الجنة أُنعم به علينا، فيا ضعفنا ليس لنا قوة، ويا لضعف ألسنتنا عن الذكر، وأبداننا عن الصلاة، وقلوبنا عن الاجتماع ضعيفة لا تستطيع!

لكن إذا وفق العبد فأكثر من الذكر خصوصًا (لاحول ولا قوة إلا بالله) كان قد شق الطريق الذي يوصله إلى الله، فإياك نعبد لا تكون بقواك من أين لنا قوة!!

إياك نعبد لا تكون بقواك إنما تكون بـ إياك نستعين.

فأطلق لقلبك هذا العنان واجعل الاستعانة عماد حياتك. عماد تحصيل الطاعات ودفع الآثام عن النفس الاستعانة!

عندما يمر على خاطرك رغبات لا يرضاها الله جاهد أن تطلب من الله العون بأن تنجح في دفع هذا الشر عن قلبك، وإذا أردت أن تقوم بأعمال صالحة فالزم الاستعانة من أجل أن تقوى على الطاعة، إن بدنك الضعيف لا يحتمل قليل العبادات إنما هو الله الذي يمدك بالقوة، فإذا تيقَّنت من هذا أصبحت قاعدة أعمالك في شهر رمضان وفي غيرها هي (الاستعانة العبادة العظيمة).

ولذلك أكثر من قول: (لا حول ولا قوة إلا بالله) وكلَّما حرَّكك الشيطان في عبادة من العبادات أو في قربة من القرب في أي وقت من الأوقات، سنتكلم عن عمرنا كله فاحبس نفسك على الطاعة واستعين بالله لتستمر وتنتهي، وإذا حبست الشياطين في شهر رمضان، تبقى نفوسنا الكسلانة تبقى قلوبنا التعبة، فمالنا إلا أن نستعين بالله ونطلب منه

-سبحانه وتعالى-أن يعيننا على القيام بالطاعات، إذًا: بهذا الحديث وبإضافة مسألة الاستعانة خرجنا بخطة واضحة، نريد أن نصوم رمضان ليغفر لنا الذنب فنرى رمضان فرصة عظيمة يفرح بها.

ماذا نفعل من أجل أن نصوم ويكون أثر ذلك غفران الذنب؟ نجمع بين الإيمان والاحتساب.

ماذا نفعل من أجل أن يزيد الإيمان؟ علينا بالعلم عن الله وذكرى الدار الآخرة.

فإذا أحسنَّا في العلم عن الله وأحسنَّا في ذكر الدار الآخرة وقع بينهم الاحتساب، وما الذي يجعلنا نفعل هذا كله؟ (الاستعانة) أي: لا تثقِّل نفسك عن هذا كله، إنما اطلب من الله.

إن الله ابتلاك بهذه الأعمال، ليس من أجل أن يختبر قواك الذاتية فنحن ليست لنا قوة؛ إنما ابتلانا بهذه الأعمال وأوجد لنا هذه الفرص (لنكون أكثر ذلًا وانكسارًا بين يديه)، فإن الطاعات طريقها الانكسار والذل وطلب الحول والقوة من الله.

بهذا انتهينا تقريبًا من المفهوم العام الذي يجب أن يكون في قلوبنا تجاه رمضان.

فإذا كنت تفكر في لقاء الله؛ فستجد في رمضان أمورًا كثيرة تبشرك

1. ورد في الحديث الذي أخرجه النسائي في سننه: ((أَتَاكُمْ رَمَضَانُ شَهْرٌ مُبَارَكٌ، فَرَضَ اللَّهُ-عزَّ وجلَّ- عَلَيْكُمْ صِيَامَهُ، تُفْتَحُ فِيهِ أَبْوَابُ السَّمَاءِ، وَتُغْلَقُ فِيهِ أَبْوَابُ الْجَحِيمِ، وَتُغَلُّ فِيهِ مَرَدَةُ الشَّيَاطِينِ، لِلَّهِ فِيهِ لَيْلَةٌ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ، مَنْ حُرِمَ خَيْرَهَا فَقَدْ حُرِمَ))[1].

هذا مما يورثنا الفرح بهذا الشهر، نعدّ عطايا الله في ذلك:

1. تفْتَحُ فِيهِ أَبْوَابُ السَّمَاءِ.
2. تغْلَقُ فِيهِ أَبْوَابُ الْجَحِيمِ.
3. تغل فِيهِ مَرَدَةُ الشَّيَاطِينِ.
4. للَّهِ فِيهِ لَيْلَةٌ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ، مَنْ حُرِمَ خَيْرَهَا فَقَدْ حُرِمَ الخير)

(1) رواه النسائي في سننه، وصححه الألباني.

المعنى: أن الله–عزَّ وجلَّ–بمَنِّه وبكرمه أعطى العباد عطايا تورثهم الصلاح والفلاح، الصلاح في دنياهم والفلاح لما يلقونه، فلا نبخل على أنفسنا كل مرة يعطينا ربنا فلا نغتنم عطيته، لابد أن نغتنم العطية، ونبذل جهودنا في اغتنامها فأي عطية أعظم من عطية فتح أبواب السماء؟ أي عطية أعظم من عطية إغلاق أبواب الجحيم؟ أي عطية أعظم من عطية ليلة هي خير من ألف شهر، أي عطايا أعظم؟ فالدنيا كلها من أولها لآخرها ليست بشيء أمام هذه العطايا، فمن شعر بها وفرح بها فقد تقرَّب إلى الله.

أي أننا الآن قبل أن نلقى الشهر قبل أن نصل إليه نعبد الله بالفرح بهذه العطايا، إيمانًا منَّا بأن هذه حقائق ستكون، وأننا كلَّما زدنا إيمانًا بها، زدنا انتفاعًا بها، ضعف الإيمان بهذه العطايا يسبب لنا أن تأتي هذه العطايا فلا ننتفع.

فليلة خير من ألف شهر! إذا آمنت أنك في ليلة واحدة ستكون حياتك فيها خير من ألف شهر، وفرحت بها وانشغلت بها وأصبح وقتك مشغولًا استعدادًا لها، ستكون ممن يوفق لها.

إذا كان الأمر بخلافه يعني: تركت الاهتمام ولم تفرح بها ولم يكون في قلبك انشغال لها من أول الشهر، لا تتصور أنك تأتي في آخره فتوفق لها!

إن عدم الشعور بعطايا الله وعدم الاهتمام بالآخرة ولقائه سبب بأن تأتي الفرصة بعد الفرصة فتذهب علينا، تذهب كأنها غير موجودة!

فنسأله–سبحانه وتعالى–سؤال الفقراء الذين يودّون أن يرحمهم ربهم، نسأله ألا تضيع علينا هذه الفرص فنكون في حسرة وندامة، إن هذه هي الحسرة والندامة الحقيقية أن يقال لك: ليلة خير من ألف شهر وتحرمها، من حرم خيرها فقد حرم! فأي شيء يضيع في الدنيا لا شيء، كل مخاوف الدنيا لا تساوي شيء، وأن يذهب عليك كذا وأن يحصل لك كذا كل شيء تخسره في الدنيا، لا شيء مقابل (خسران لليلة مثل هذه الليلة)!

فمن اشتغل بالخوف من الخسران واشتغل بسؤال الله أن يصلها وعمل عملًا يدل على فرحه بها نرجو من الله أن نكون ممن وفق لقيامها ويكون ممن كتب له أجرها، لابد أن نظهر لربنا عنايتنا بما وهبنا، كيف يهبنا الله–عزَّ وجلَّ–ليلة خير من ألف شهر ثم يكون ردنا الإهمال؟! نحن إذا عاملنا الخلق وبشَّرناهم ببشرى من الدنيا ثم لم يلتفتوا لنا، نشعر بسوء أدبهم، يعني أنا أبشرك وما تلتفت لي! فالله–عزَّ وجلَّ–ينعم علينا بهذه النعمة ويعطينا ليلة خير من ألف شهر ثم لا نظهر اهتمامًا لا في قلوبنا ولا في أدعيتنا! ماذا يكون حالنا في هذه الليلة! ما نظهر من ذلك شيئا ولا يقع في قلوبنا العناية، فهذا مورث للحرمان (من حرم خيرها فقد حرم!).

1. ورد أيضًا في سنن الترمذي عن النبي-صلى الله عليه وسلم-: ((إذا كان أول ليلة من رمضان: غُلِّقت أبواب النار، فلم يُفتح منها باب، وفُتِّحَتْ أبوابُ الجنة، فلم يُغْلَقْ منها باب، وينادي مناد: يا باغي الخير، هَلُمَّ وأقْبِلْ، ويا باغِيَ الشَّرِّ أقْصِر، ولله فيه عُتَقَاءُ من النَّار، وذلك في كل ليلة، حتى ينقضيَ رمضانُ))[1].

أما هذه البشرى فتحتاج منا أن نحرك إيماننا بالجنة ونعيمها لكي ترى أثر أن تفتح أبواب الجنة، ماذا يعني أن تفتح أبواب الجنة؟ لابد أن تحرك قلبك تجاه الإيمان بالجنة وما يكون فيها، وما معنى أن تغلق أبواب النار؟ فعليك أن تحرك في قلبك ما معنى أن تغلق عنك وكيف أنه هناك داعٍ يقول: يا باغي الخير هلم وأقبل ويا باغي الشر أقصر.

المعنى: أن القلوب تميل إلى الخير فاغتنم ميل قلبك إلى الخير، اغتنم ما يوجد في قلبك من إرادة الخير ودع عنك الشواغل ودع عنك الصوارف، (ولا تُسكَت داعي الخير في قلبك فإن داعي الخير إذا سُكِّت مات!)، فلا تميت في قلبك داعي الخير، وكلَّما انفتح في ذهنك خير فاحتسب على الله أن تفعل حتى لو بقلبك إلى أن ييسِّر لك.

يعني يمر في خاطرك أن تطعم مسكينًا، يمر في خاطرك أن تسقي ماءً، خطط له! خطط له وأنت على فراشك.

(نفسك في رمضان تميل إلى الخير ثم خذ الأسباب ما استطعت بعدما بذلت يكتب لك ما فكرت) فسبحانه الكريم، الرحيم، الوهاب قد منَّ على العبد بأبواب الخير أبواب فما بالنا عنها منشغلين؟! ولا نظهر لربنا فرحًا بها؟

هذه كلها أسباب تجعلنا نفرح بهذه النعمة، لكن كل هذا الكلام يقال عندما تدفع عنك حب الدنيا. {إِنَّ الَّذِينَ لاَ يَرْجُونَ لِقَاءَنَا وَرَضُواْ بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاطْمَأَنُّواْ بِهَا} هؤلاء قوم انشغلوا شغلتهم الدنيا فعندما تبشرهم بشأن الآخرة والدنيا هي التي أكلت قلوبهم، لا تجد مساحة من المشاعر يشاركونك الفرح بعطايا الله!

إن فرحهم بدنيا تؤخذ، ليس فرحهم بأمر ستلقاه لابد أن تلقاه.

من الأمور العظيمة التي نفرح بها كما ورد في الحديث (ولله فيه عُتَقَاءُ من النَّار، وذلك في كل ليلة) فلازلنا على نفس الأمر، هل تعرف ماذا يعني أن تعتق من النار؟ هل تشعر بذلك؟ هل تشتاق إلى ذلك؟ فكّر في هذا فكّر!

وهذا التفكير يقربك من الرغبة، وهذه الرغبة تقربك من العمل الصالح، وهذا العمل الصالح سبب بإذن الله لأن تكون من هؤلاء -نسأل الله من فضله-.

(1) رواه الترمذي في سننه، كتاب الصوم، باب ما جاء في فضل شهر رمضان، 682، وصححه الألباني.

2. عن أبي هريرة–رضي الله عنه–قال: قال الرسول–صلى الله عليه وسلم–: ((أُعْطِيَتْ أُمَّتِي خمسَ خِصَال في رمضانَ لم تُعْطهُنَّ أُمَّةٌ قَبْلَهم: خُلُوف فِم الصائِم أطيبُ عند الله من ريح المسْك، وتستغفرُ لهم الملائكةُ حَتى يُفطروا، ويُزَيِّنُ الله كلَّ يوم جَنتهُ ثم يقول: يُوْشِك عبادي الصالحون أن يُلْقُواْ عنهم المؤونة والأذى ويصيروا إليك، وتُصفَّد فيه مَرَدةُ الشياطين فلا يخلُصون إلى ما كانوا يخلُصون إليه في غيرِه، ويُغْفَرُ لهم في آخر ليلة، –المقصود آخر ليلة من رمضان– قِيْلَ يا رسول الله أهِيَ ليلةُ القَدْرِ؟ قال: لاَ ولكنَّ العاملَ إنما يُوَفَّى أجْرَهُ إذا قضى عَمَلَه))[1].

نعُدُّ معًا هذه البشارات الخمس:

1. (خُلُوف فِم الصائِم أطيبُ عند الله من ريح المسْك)

والمقصود: أن هذا الذي يستكرهونه الناس من نفوسهم أو من غيرهم إنه عند الله–عزَّ وجلَّ–طيبًا؛ فإن آثار الطاعة عند الله طيبة، فلا تجعل عينك ترى آثارًا هنا تستكرهها إنما فكر في هذا عند الله ماذا يكون؟ ومن شغل بهذا عند الله ماذا يكون أحسن في العمل وأحب الأمور ولو كانت في ظاهرها على خلاف ما يجب أن يكون.

2. (وتستغفرُ لهم الملائكةُ حَتى يُفطروا)

المعنى: وهذا أمر عظيم ومهم وخطير وهو أنك مشغول بالطاعة، وهناك من هو مشغول بالاستغفار لك، فكم هي منَّة الله علينا؟ كم عظيم عطية الله لنا؟ ونحن عنها مشغولين!

3. (وتستغفر لهم الملائكة حتى يفطروا ويزين الله لهم كل يوم أن الله–سبحانه وتعالى–كل يوم يزين جنته ويقول: يُوْشِك عبادي الصالحون أن يُلْقُواْ عنهم المؤونة والأذى ويصيروا إليك)

والمعنى: أنك في مؤونة وأذى، أنك هنا لست إلا في أمرين في (مؤونة تتمون) تتمون فهل تقضي حياتك إلا في التمون لذاك اليوم والأمر الثاني: (وأنت تتمون في أذى) يلحقك الأذى من كل جهة!

فإذا كنت في مؤونة وأذى فأسرع بالشوق إليه، أسرع بقلبك بالشوق إلى موطن تستقر به، فإن القبر أحسن مسكن لمن أحسن، فابذل جهدك أن يكون مسكنك أحسن ما يكون، إن القبر أحسن مسكن لمن أحسن فأحسن لنفسك بأن تأخذ من المؤونة ما تستطيع ما وفر لك ما تيسر لك واعلم أنك في هذا كله في أذى!

(1) رواه أحمد في مسنده ، تعليق شعيب الأرنؤوط: إسناده ضعيف جدا.

فأسأل الله–عزَّ وجلَّ–أن يكفينا هذه المؤونة ونسأله–سبحانه وتعالى–أن يدفع عنا الأذى وأن نلقاه ونحن في خير حال من نفوسنا وإيماننا وإقبالنا عليه.

4. ثم الخبر عن تصفيد الأعداء.

فإذا صفد عنك الأعداء استرحت يا صاحب الإيمان فما بقي إلا أن تشد همتك وتخرج الدنيا من فؤادك وتنشغل حياتك بالمؤونة تمون ورمضان خير شهر أن تتمون، لا تقلل على نفسك المؤونة لا تضيقها، اغتنم أنفاسك في المؤونة!

إنك ستصير ليوم يكون الناس فيه شديدو الفقر، خذ من المؤونة ما تستطيع!

إنك سائر إلى يوم يكون الناس فيه شديدو الفقر فخذ من المؤونة خذ من لحظات عمرك كلها وخاصة في هذا الشهر!

ابخل على نفسك من أن تنام وتترك أن تأخذ المؤونة! ابخل على نفسك أن تقضي ساعات عمرك فيما لا ينفعك في اللهو؛ لأن الذي يتموَّن لابد أن يجتهد فيجتهد فيجتهد من أجل أن يجمع له المؤونة خصوصًا أنه قيل له: ستقبل على يوم الناس شديدو الفقر فيه، تمون بالحسنات والأعمال الصالحة، كثِّر الطاعات وابذل جهدك في أعمال القلب!

(أكثر الذكر) فإنك تذكر من يذكرك، إنك تذكر الملك العظيم الذي إذا ذكرته في نفسك ذكرك في نفسه العظيمة، وإذا ذكرته في ملأ ذكرك في ملأ خير منه! فاجعل أيامك أيام جمع للمؤنة فإنك صائر إلى يوم شديد الفقر.

ثم اعتنِ واعتنِ بأن تسير في الشهر كما ينبغي إلى أن تصل إلى آخر ليلة! وآخر ليلة أمرها وشأنها عظيم مقابل الشهر كله!

5. فإن في آخر ليلة يغفر الله–عزَّ وجلَّ–للخلق مالم يغفر فيما قبله

ويُغْفَرُ لهم في آخر ليلة، يغفر لمن؟ لمن عمل، حتى لو خسر كذا وكذا؟ وأنقص كذا وكذا من الأعمال؟ ولم يتقن كذا وكذا من أحواله، تأتي آخر ليلة ماذا يحصل بها؟ يتمم له! يغفر له النقص في ذاك الشهر العظيم!

فأي كرم هذا؟ نحن نقبل على من؟ على من هو غني عنا! فتح لنا أبواب الخيرات لكي نتموَّن في يوم يكون فيه الناس شديدي الفقر، فما أعظمه من رب وما أوسع رحمته وما أكرمه وما ألطفه بنا، فنسأله أن ينزل علينا ألطافًا من نفوسنا فإنها عدوتنا نحتاج أن نزكيها ونزكيها ونزكيها، نسأل الله أن يصرف عنا شر أنفسنا وسيئات أعمالنا.

6. وفي الحديث: ((كُلُّ عَمَلِ ابْنِ آدَمَ لَهُ إِلَّا الصِّيَامَ فَإِنَّهُ لِي وَأَنَا أَجْزِي بِهِ وَالصِّيَامُ جُنَّةٌ وَإِذَا كَانَ يَوْمُ صَوْمِ أَحَدِكُمْ فَلَا يَرْفُثْ وَلَا يَصْخَبْ فَإِنْ سَابَّهُ أَحَدٌ أَوْ قَاتَلَهُ فَلْيَقُلْ إِنِّي امْرُؤٌ صَائِمٌ وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَخُلُوفُ

فَمِ الصَّائِمِ أَطْيَبُ عِنْدَ اللَّهِ مِنْ رِيحِ الْمِسْكِ لِلصَّائِمِ فَرْحَتَانِ يَفْرَحُهُمَا إِذَا أَفْطَرَ فَرِحَ وَإِذَا لَقِيَ رَبَّهُ فَرِحَ بِصَوْمِهِ))[1].

وهذا الفرح الذي نتكلم عنه إنك تفرح بقدوم هذا الشهر تفرح كل يوم بأن تم لك اليوم وأفطرت، تفرح بعد ذلك بأن يكون هذا كله في ميزانك يوم تلقى الله ستفرح بالصوم عندما يقلب الناس أعمالهم، ستفرح بالصوم يوم ينظر كل إنسان صحيفته، ستفرح بالأيام التي صمت بها عندما تجد نفسك تحاسب نفسك وقد أكرمنا الله فجعل صحائفنا تحمل أعمالنا، وأكرمنا بأن علَّمنا كيف تكون أعمالنا أعمال خير وحق وصلاح فنستبشر يوم أن نلقاها.

فأحسن في نهارك، أحسن في صيامك، أحسن في وقت الصوم إنك ستقلب صيامك يوم أن تلقى الله وتأخذ صحيفتك ستقلب صيامك وستنظر إلى صيامك إن كان حسنًا أو سيئًا إن كان صادقًا أو كان فيه غش، إن كان خالصًا أم فيه رياء، إن كنت أحسنت فيه أو مهمل لم تحتسب ولم تنتظر يوم أن تلقى الله، إنك تحتاج أن تجمع قلبك كلَّما تذكرت أنت ماذا تفعل، أي كلما تشعر بالصوم فتشعر بالعطش ذكر نفسك أن هذا العطش (سينفعك هناك يوم يشتد عطش الناس) يوم يكون الناس فقراء لا مؤونة لهم أنت مؤونتك صومك تمونت به ليوم الفقر!

بعدما فهمنا هذا الشهر وطرفًا من الخيرات التي فيه نعود إلى الأمر المهم وهو علاقتنا بالقرآن في رمضان:

1. أول الأمر لابد أن نعلم أن هذا الشهر هو الشهر الذي أنزل فيه القرآن.

{شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِيَ أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِّنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ}

حتى أن كثير من أهل العلم يقولون: إنما فضل رمضان بما أنزل فيه من القرآن، يعني رمضان عُظم وأصبح له فيه هذه أجور بسبب نزول القرآن فيه.

يقول الشيخ السعدي رحمه الله:

(1) متفق عليه، أخرجه البخاري (1904)، ومسلم (1151) باختلاف يسير.

"شهر رمضان الشهر العظيم الذي قد حصل لكم فيه من الله الفضل العظيم وهو القرآن الكريم، وهذا القرآن الكريم فيه الهداية لمصالحكم الدينية والدنيوية وتبين الحق بأوضح بيان والفرقان بين الحق والباطل والهدى والضلال وأهل السعادة وأهل الشقاوة، فحقيق بشهر هذا فضله وهذا إحسان الله عليكم فيه أن يكون موسمًا للعباد مفروض فيه الصيام"[1].

إذًا كيف تفهم فضل رمضان؟ لماذا كل هذا الفضل لرمضان؟ لأن فيه نزل القرآن، على ذلك كان الواجب أن نهتم في رمضان بالقرآن يكون أهم الأمور التي نعتني بها في هذا الشهر هو علاقتنا بالقرآن، ننظر إلى فعله-صلى الله عليه وسلم-في رمضان مع القرآن ويكون هذا منطلق لبقية تفاهمنا حول الموضوع:

2. عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللهِ-صلى الله عليه وسلم-أَجْوَدَ النَّاسِ، وَكَانَ أَجْوَدُ مَا يَكُونُ فِي رَمَضَانَ حِينَ يَلْقَاهُ جِبْرِيلُ، وَكَانَ يَلْقَاهُ فِي كُلِّ لَيْلَةٍ مِنْ رَمَضَانَ فَيُدَارِسُهُ الْقُرْآنَ فَلَرَسُولُ اللهِ-صلى الله عليه وسلم-أَجْوَدُ بِالْخَيْرِ مِنَ الرِّيحِ الْمُرْسَلَةِ))[2].

الحديث يقرر أمرين:

1. يقرر جود النبي-صلى الله عليه وسلم-والجود هنا: بمعنى النفقة والعطية.
2. وهذه قربة عظيمة في رمضان لكن يربط الجود بمدارسة القرآن.

إذًا معنى هذا أن للقرآن أثر على القلب يجعل الإنسان في إقبال على الآخرة وانصراف عن الدنيا، بحيث يصبح الإنسان في جوده سخي، والنبي-صلى الله عليه وسلم-عندما يلقى جبريل فيدارسه القرآن يكون أجود من الريح المرسلة والسبب: أثر القرآن في تصور الآخرة والتزهيد في الدنيا!

نريد أن نقرأ القرآن قراءة تسبب لنا هذه النتيجة، هذا الأمر الأول الذي هو مسألة الجود، هذا الأمر الأول ترتب على الأمر الثاني: وهو أن جبريل كان يدارسه القرآن، إذًا فعل النبي-صلى الله عليه وسلم-في رمضان أنه كان يدارس القرآن مع من؟ مع جبريل، أثره؟ أنه يكون مقبلًا على الآخرة مدبرًا عن الدنيا. فنحن الآن نريد أن نتدارس القرآن مدارسة توصلنا لهذه الحال.

(1) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان.

(2) رواه البخاري في صحيحه (كتاب بدء الخلق، باب ذكر الملائكة، 3220)

في الحديث ظهر العمل وظهر الأثر:

1. العمل: مدارسة القرآن.
2. الأثر: الجود والعطاء.

الجود والعطاء ما يأتي من الصدقة بالذات، لا تأتي إلا من (قوة إيمان)، يعني الإنفاق إنفاق المال سمِّي صدقةً لأنه يصدق الإيمان (يعني تبرهن على إيمانك)؛ أي أنك تصدق الإيمان بالصدقة، ما المقصود بـ (تصدق الإيمان)؟ يعني أن تثبت إيمانك، تثبته بأي شيء؟ بالصدقة؛ معنى ذلك أن الإيمان قوي قوي قوي لدرجة أن تصبح سخيًا سخيًا سخيًا!

قوة الإيمان معناها أن الدنيا لا شيء، وأن الآخرة كل شيء، فقوة الإيمان تأتي بقوة الإنفاق لأنك أنت تعرف أن الإنفاق هنا يساوي مؤونة هناك والعطية هنا تساوي عطايا هناك! ففهمك هذا ما يأتي إلا من الإيمان، من أين أتى الإيمان؟ من مدارسة القرآن.

نريد أن يكون كل تفكيرنا: كيف أقرأ القرآن قراءة تسبب لي قوة الإيمان؟

أن هذه القراءة يجب أن لا تكون على عجلة (تمهّل ولا تهمل).

لأنك إذا قصدت قوة الإيمان فالعجلة لا تأتي بقوة الإيمان أبدًا، ثم أنظر أن النبي-صلى الله عليه وسلم-كان يدارسه جبريل عليه السلام القرآن كل ليلة بحيث أنه في آخر الشهر يختم، وفي رمضان الذي بعده توفي النبي-صلى الله عليه وسلم-دارسه مرتين، يعني كأنه يقال: الآن لا تتعجل اقرأ القرآن الشهر كاملًا مرة أو مرتين لكن على أن تكون هذه القراءة فيها من الدراسة والمدارسة ما يوصلك لقوة الإيمان.

واضح الحديث: الحديث فيه عمل وفيه أثر:

العمل: مدارسة القرآن.

الأثر: مدارسة القرآن قد أتت بقوة الإيمان، قوة الإيمان هذه ما دليلها؟ دليلها الجود.

إذًا علينا أن نقرأ القرآن قراءة توصلنا إلى هذه الحال، وأول شرط أن لا نتعجل، وأيضًا لا نهمل. فلما يقال: لا تتعجلي في الختمة تجدين نفسك انتهى الشهر وما زدت إيمانًا ولا ختمت ولا استفدت من أجر الحروف! يعني لا هذا ولا هذا؛ حتى لا تأخذنا آراءنا ونميل عن الحق!

المقصود لا تتعجل وإنما تمهّل واجعل الزمن هو الذي يحكمك، يعني قرر لنفسك في اليوم أزمنة متعدد لتكون مع القرآن. كلمني عن الزمن ولا تكلمني عن الجزء ولا عن السورة، كلمني عن الزمن الذي تقضيه، فنحن نريد أن نكون أكثر زمنًا في رمضان مع القرآن، هذا الشهر فضله ومكانته أتت من جهة نزول القرآن فيه،

أكثر شيء يشغلك في هذا الشهر القرآن

لكن اجعل القرآن يشغلك اشغالًا يوصلك **إلى زيادة الإيمان**.

نسأل الله–عزَّ وجلَّ–أن يقع هذا الكلام في قلوبنا وأن نوفّق لتنفيذه؛ لأن كما اتفقنا نحن نسمع كلامًا كثيرًا لكن بدون عون من الله، وبدون ذل منا وانكسار أن يعيننا، نحن نخطط لأشياء كثيرة ولا نحصِّل شيئًا، نحن بين يديه منكسرون وله مذلولون ولعطائه منتظرون أن يمن علينا فيجعل القرآن ربيع قلوبنا ونور صدورنا وجلاء أحزاننا وهمومنا وشاغلنا يشغلنا عن كل شيء، نتوسل إليه أن يكون هذا حالنا، فإذا امتلأت قلوبنا بالقرآن سننشغل عن كل شيء، سيهون كل شيء، سنضع كل شيء في حجمه، إننا عظمنا من الدنيا ما عظمنا حتى أنها أشغلت قلوبنا عن ربنا حتى أنها تمكَّنت منا نفوسنا فتلح علينا بشيء لا قيمة له من أجل أن نطرد القرآن من بين يدينا! كم فعلت نفوسنا بنا هذا الفعل؟ كم مرة قرأنا القرآن وفتحناه متحمسين نريد أن نقرأ ثم تجد شيئًا ملحًا لا قيمة له كأنه يأمرك ونحن نستجيب.

نسأل الله أن يغفر ما مضى ويحسن لنا فيما هو آت ويحسن لنا الختام على هذا القرآن ويكون ربيع قلوبنا ونور صدورنا اللهم آمين.

المقصد الآن إذا لم تتعجل فأشغل به وقتك كله، يعني انظر إلى واجباتك المحتمات في الدنيا هنا في رمضان (المحتمات) لا تخترع شيء ليس له قيمة في الدنيا! كل شيء تستطيع أن تشغل به غيرك فاشغله به، كل شيء تستطيع توكله وتصرفه عن نفسك اصرفه، لا تأتيك الشهوات، انظروا لأولادنا أيام الاختبارات يذاكرون ويدرسون، فتقوم فجأة تقول لك: أنا اليوم نويت أطبخ لكم! نويت أن أساعدكم! من أين جاءت بهذه النية الخالصة؟! جاءت هذه النية من باب التشتيت عما هي فيه، فكونوا على حذر يا جماعة! احذروا من كيد شياطين الإنس والجن، يوجد من الإنس من يسببون لنا إشكال، كل شيء تستطيع توفيره وفره، كل زمن تستطيع حبسه احبسه، كل طاقة لك تستطيع ألا تنفذها في شأن الدنيا فلا تنفذها، وهذا لأمور تتصل بأحوالنا وأوضاعنا، فنحن مختلفين، لكن نقول: افعل ما تستطيع ولا تشغل نفسك بالدنيا، اهجر ما اعتدت عليه.

أول أمر تهجره وسائل الاتصال التي بين يديك، من الأمور المهمة التي تحتاج هجرها اليوم اهجرها هجرًا تقرب إلى الله بهجرها، فلا خير فيها تلحقك وإنما يلحقك منها الشر. ثم اعلم أنك ممكن أن تحتال على نفسك وتقول: سأرسل الفائدة وسأستفيد منهم وهم يستفيدون مني، نقول: ليس وقته الآن، أنت تزود لنفسك، فالحمد لله السنة كلها موجودة وتنفع الناس وترسل لهم الخيرات وتبذل لهم كل شيء، كما أنه توجد وسائل كثيرة يمكنهم الاستفادة منها، أما الآن فانشغل بنفسك، انشغل بنفسك وتصبح أكثر خيرية، وعليك بالدعاء لهم وبصلاحهم، هذا الكلام مع من هم أندادنا. أما من هم تحت أيدينا من أبنائنا فهذه مسؤوليات من جهة إقامتهم للصلاة ومن جهة تذكيرهم بربهم من جهة أمرهم بالمعروف.

المقصد نحن نحتاج حتى نقرأ القرآن قراءة تنفعنا أن نعطي القرآن الزمن (زمننا)، كل زمن أنت تفرغ فيه من أمر يلزمك في الدنيا -يلزمك ليس أنت تخترعه-أعطه للقرآن. يعني اجعل نهارك وليلك مشغولين بالقرآن، فإذا اشتغلت نهارك وليلك سيكون شغلك ليس في التعجل في القراءة. مثلًا لنفترض أنك ستقرأ سورة البقرة في ليلتين أو في ثلاث ليالي افترض هذه الثلاث الليالي وزّع أوقاتها ما أردت في اليوم، كلَّما أتاك فراغ أو أنت تكون في عدم شغل واجب عليك، لكن في هذه الأوقات ماذا تفعل؟ تقرأها قراءة متأنية يعني ما يكون أمام عينيك (متى أنتهي؟) بل يكون أمام عينيك (متى أفهم؟) وأنت مأجور على الوقت والحرف الذي تقرؤه.

فافترض أنك قرأت في سورة البقرة سياق قصة آدم ثم ما انتبهت هذه القصة أتت بعد أي شيء؟ ما الذي أتى قبلها؟ لماذا أتت؟ فلا بأس عُد من حيث بدأت وانظر ما الذي سبق القصة وماذا قيل فيها، وأي منَّة يذكر فيها، ثم قرأت وقرأت ووجدت الخطاب للمسلمين ثم غفلت فوجدت نفسك تقرأ عن بني اسرائيل، ما الذي أوصلنا لبني إسرائيل؟ عُد وانظر أين أنت وماذا قيل لك قبل هذا؟ بني اسرائيل أتوا شاهدًا على أي شيء؟ ماذا يراد منك أن تفهم هنا؟ ثم أنت تقرأ فتجد (وبشر المخبتين)، (وبشر المؤمنين) من هم هؤلاء المخبتين؟ من هؤلاء المؤمنين؟ من هم أولياء الله؟ تأتيك صفات لابد أن تعود وتقرأ، تذكر نفسك، تفهم ماذا تقرأ هنا، عندما تقرأ في زمن القراءة الآن، في زمن القراءة تشتغل بأن يكون تركيزك كله في القرآن، لو أشكل عليك بعض الأمور لا بأس سجلها، سجل ما أُشكل، سجل بعيد عن المصحف وليس في مصحفك، سجلها قربة وعبادة، سجلها مدارسة، سجلها لأن الله كما قال: {إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ * فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ * ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ} فالبيان من جهة المدارسة، يعني كونك تقرأ القرآن بيانه هذا يأتي من جهة المدارسة، بمعنى أن وقتك الذي تقضيه من أجل أن تقرأ القرآن عندما يظهر لك سؤال أعد على نفسك قراءة نفس

الآيات، أعد مرة أخرى، أعد لا تمل من قراءة الآيات، إلى أن يتبين لك سؤالك، فإذا تبين لك السؤال بعد ذلك ابحث في أقرب وأيسر كتاب تفسير عن الجواب.

ونحن ننصح بتفسير الشيخ السعدي يسير وسهل وفي نفس الوقت فيه من الفوائد العظيمة، هذا لا يعني أنك ستقرأ تفسير كل السورة، بل ستقرأ تفسير ما أُشكل عليك واجعل لذلك وقتًا محددًا، اجعل لهذا الأمر وقتًا محددًا، لكن يومك كله ما به؟ **مشغول بالقرآن**.

وأنا اقرأ القرآن عيني ستكون بصيرة بأي شيء؟ ما أكثر شيء سيشغلني؟

1) أن أعرف الله

كلَّما قرأت في القرآن ابحث من هو الله؟ كيف ورد لك صفات الله؟ ما صفة أولياؤه؟ ما صفة أعداؤه؟ كيف يعامل أولياؤه؟ كيف يعامل أعداؤه؟ كل مرة تقرأ زد على ذلك، عندما تقرأ في سورة مثل سورة الشعراء وتجد أنه تسع مرات ورد اسم (العزيز الرحيم) كيف لا يشغلك هذا الاسم؟! فعندما تقرأ السورة وتجد هذا الاسم وقد تكرر لا بد أن يشغلك فتبحث ما معناه ولماذا ورد في هذه السورة؟ ولماذا تكرر في السورة وهكذا...فالمعنى أن أول ما تهتم به وأنت تقرأ في القرآن ماذا؟ أسماء الله-عزَّ وجلَّ-وصفاته، تعتني بذلك وتهتم به وتكرر حتى تنتفع به، بمعنى: أنك لا تترك نفسك تجري جريًا والمقصود الأهم من قراءتك القرآن تتركه، إن الاعتناء بأسماء الله-عزَّ وجلَّ-وصفاته هو مقصد القارئين، هو مقصد المتعلمين، إذا ما اعتنيت بأسماء الله-عزَّ وجلَّ-في القرآن فبأي شيء ستعتني؟!

نسأل الله-عزَّ وجلَّ-ألَّا يشغلنا عن الشيء المهم بالأقل، لأن النفوس كلَّما اعتادت شيء أصبحت تريد أن تسير على ما اعتادت عليه، وتترك أن تسير على ما هو صواب وخير.

إذًا أول شيء تنشغل به هو أسماء الله-عزَّ وجلَّ-وصفاته، أنت تجد أسماء الله-عزَّ وجلَّ-وصفاته ختمت به الآيات، ابتدأت به بعض الآيات، اقترنت بها نصوص، فعليك أن تركّز الاسم هنا اقترن بأي شيء؟ أي لا يصلح أن نقرأ في فاطر مثلًا في آية ثلاثين {لِيُوَفِّيَهُمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِ إِنَّهُ غَفُورٌ شَكُورٌ} في آية أربعة وثلاثين مباشرةً على لسان أهل الجنة {الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزَنَ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ} ليس معقولًا أن نقرأها في دقيقة واحدة، تقرأ هذه الأربع الآيات في دقيقة دقيقتين، ليس معقولًا أن نقرأها وما ننتبه أن هنا أتى (غفور شكور) وهنا أتى اسم (الغفور

الشكور)! لكن هذا ما يحدث، أني لا أنتبه أن أسماء الله–عزَّ وجلَّ–وصفاته تتكرر، وتختم بها الآيات وتبدأ بها بعض الآيات وتأتي صفات ويكلمك عن مكره وعن كيده بالكائدين وما تدري أين الكائدين ولا أين الماكرين ولا كيف مكروا ولا كيف كادهم ولا آثار قيُّوميته ولا آثار رحمته ولا آثار تدبيره! هذا معناه أننا لم نصل بالقرآن إلى مقصده.

فلا نعطي أنفسنا هواها ولا نتركها على ما اعتادت، ولا تنافس المنافسين، ولا يأتي أحد يقول لك: كم ختمت! ليس لهم بك علاقة كم مرة ختمت، ولا أنت لك علاقة بالناس كم مرة ختموا! الأصل: أن هذه من الأعمال التي لابد أن تكون خفية! هذه من الأعمال التي فيها قُرب شرعية، ليس من حق أحد أن يتطلع عليها طلبًا للإخلاص!

إذًا أول خطوة لتكون قراءتنا للقرآن سبب لزيادة الإيمان: لا تتعجل، ولا تهمل.

وقد رأينا في أيام غير أيام رمضان رأينا شباب قد أشغلهم الله بالقرآن فلما يقف عند الإشارة يخرج مصحفه مباشرة! هذا دليل أن عنده شيء واحد مشغول به أول ما يفرغ أول ما تأتيه فرصة ماذا يفعل؟ يفتح هذا المصحف.

أحيانًا تتقدمين في السور فتجدين أن هذا معنى قد مر عليك قريبًا، فتِّشي، ارجعي، لا تتصوري أن هذا تضييع للوقت؛ **إنما هذا (انشغال بالقرآن)** هذا نوع من أنواع الانشغال بالقرآن، يعني الآن قريبًا سمعتِ في سورة يونس كذا ثم تأتي سورة هود مباشرة تسمعين فيها معاني قريبة فأنت تقولين لنفسك: هذا المعنى قريب أنا سمعته هنا فماذا تفعلين؟ تعودين فتقرئين في الموطن الذي سبق، (هذا كله من الانشغال بالقرآن).

بعدما اهتمينا بأسماء الله–عزَّ وجلَّ–وصفاته سنهتم:

2) بصفات أولياء الله، بصفات أعداء الله

ليس معقولًا أن تمر في القرآن صفات عن المتقين، عن المؤمنين، عن المخبتين، وأنت ما تعرف مَن هم هؤلاء! عليك أن تهتم بهم وتنشغل بهم لتعرض نفسك أنت مَن؟ مَن الأولياء من المخبتين، ابحث فتش عن هذه الصفات من أجل أن تبذل جهدك أن تتصف بها! فابذل جهدك أن تتصف، وتسأل الله أن تكون ممن اتصف بالخيرات. ثم عكسه، تسمع صفات من يبغضهم الله (المنافقين، الكافرين) ماذا تفعل؟ تحذر تخاف تجتهد في أن تدعوا الله–عزَّ وجلَّ–أن تكون في حفظه من هذه الصفات. الأمر الثالث:

3) عليك أن تعتني بيوم اللقاء، عليك أن تعتني بأحوال الناس في يوم اللقاء

عليك أن تعتني كيف يكون هذا اليوم العظيم ما أحوال الخلق فيه وهذا الاعتناء يكون من عند القبض إلى اللقاء إلى الاستقرار -نسأل الله-عزَّ وجلَّ-أن يكون مستقرَّنا جميعًا جنات عدن-

فإذا اشتاق القلب إلى جنات عدن فتّش وقلّب وأصبح يبحث ما هو الطريق الموصل؟ وماذا قيل في أصحابها وكيف بشروا. إلى آخر هذه الأمور التي تزكي فيها نفسك بنفسك؟! الآن اجعل لنفسك واعظًا، اقرأ القرآن فهو خير واعظ. فقط عليك أن تركز في الخطاب.

إن الرسالة التي تصل إلينا اليوم عبر رسائل الإعلام أو عبر رسائل الاتصال نقلبها ونكررها ونقرؤها ونحفظها في مذكراتنا من أجل ألَّا ننساها، فكيف برسالة رب العالمين!! إنها رسالة لك وبلغك بها أكرم رسول-صلى الله عليه وسلم-فأين إظهار عنايتك بهذه الرسالة؟ يقال لك هكذا سيكون ذلك اليوم، هكذا سيخرجون الناس، هكذا يكون حالهم، هكذا ينقسمون هكذا يصلون، أين أنت عن هذه التفاصيل كلها؟

فالمقصد اعتني عناية حقيقية بما سيكون في ذاك اليوم، اعتني عناية تزكّي بها نفسك، اجعل مقصدك من قراءة القرآن تزكية نفسك، والنفس لا تزكوا إلا بمعرفة الله ومعرفة يوم لقاه ومعرفة ما هو الذي يرضي الله من صفات وأعمال ومعرفة ما يسخط الله من أجل أن تبتعد عنه.

4) معرفة حال الأنبياء

النماذج التي ضربت لنا، هؤلاء الأنبياء الإيمان بهم ركن من أركان الإيمان، هؤلاء الأنبياء الذين سنأتي يوم القيامة ويكون هناك شهداء، فإذا أردت أن تعرف الشهداء فاعلم أن الله-عزَّ وجلَّ-في ذاك اليوم أعظم شهيد علينا وعلى أعمالنا ثم الملائكة الكرام شهود، ثم الأنبياء، ثم يأتي أمر مهم علينا نحن نبينا شهيد، ونحن ونبينا شهداء على الأمم، فسنقف مع نبينا شهداء على الأمم فنُسأل في ذاك اليوم، مِن أين لنا كيف سنعرفهم؟ نقول: علمنا من نبينا أخبرنا نبينا قرأنا في كتابنا فصدقنا وآمنّا، فتصدق وتؤمن بحال الأنبياء ورسلهم وما جرى معهم، فتقف مع نبيك شاهد على تبليغ الأنبياء لأقوامهم الدين شهادة عظيمة مسؤولية جسيمة ما بالنا لا نستعد لها؟ ستأتي إلى قوم نوح وتقول: لقد دعاكم نوح ليلًا ونهارًا، ما كان منكم إلا أنكم فررتم فرارًا دعاكم وفعل وفعل في سنين طوال ثم أنه قال لكم: اجمعوا أمركم، من أين لك هذا من أين لك؟ إلا أن تقرأ القرآن فتعرف ماذا حصل مع الأنبياء الكرام، اقرأ وأعد وأعد، استعدادًا للشهادة!

أعد واقرأ ماذا حدث مع الأنبياء استعدادًا للشهادة، أعد نفسك عندما سيكون يقينًا ويستشهد بنا مع نبينا على الأقوام فأين معرفتنا به؟ الأقوام وما حصل للأنبياء، إننا نقرأ مطلع القصة فلا نأتي إلى أخرها إلا وقد نسينا من هو النبي الذي تتكلم عنه، هذا حاصل! أي شتات هذا الذي نحن فيه!

أحيانًا نقرأ نوح، إبراهيم ولا نتصور أننا يجب أن نعقد في قلوبنا، الآن إبراهيم-عليه السلام-الذي نذكره في التحيات أين هو في قلوبنا؟ إمام الموحدين أول من يُكسى يوم القيامة، أين عبادة محبتهم والقربة إلى الله بموالاتهم، إنك تواليهم فتعبد الله، إن الملائكة الكرام في السماء يحبون أهل الإيمان في الأرض ويستغفرون لهم ويطلبون من الله الذي وسعت رحمته كل شيء أن يسعهم في رحمته، أتدري لماذا يستغفرون لأهل الإيمان؟ لأنهم يحبون الله ويعظمونه ويوالون المؤمنين، أي أن الملائكة تتقرب إلى الله بموالاة المؤمنين، بموالاة أهل الإيمان، نسأل الله أن نكون من أهل الإيمان، فإذا كانت الملائكة تتقرب إلى الله بموالاة أهل الإيمان فكيف نحن لا نتقرب إلى الله بموالاة الأنبياء والرسل الذين زَكَّاهم الله؟ ثم تسمع و(واذكر في الكتاب) أمر لك: (اذكر)! اذكر هؤلاء واجعلهم أمام عينيك، ولا تأتي يوم من الأيام وتقول: لقد فقدنا القدوات! إننا لا نفتقد القدوات، إننا غيرنا قدواتنا!

عندما نأتي إلى إمام الموحدين الذي له من المواقف العظيمة في مناقشة أهله بعقولهم، في تعظيم الله والرد على منكرهم في مناقشة ذاك الذي قال إنه رب العالمين. له مواقف عظام، أين هي في قلبك؟ أين هي نظمًا منظومًا، بحيث عندما تسمع إبراهيم-عليه السلام-تأتي بهذا كله في ذهنك فتكون من أوليائه فتوالي الله حبًا لهؤلاء، إن حبهم ولاء لله قربة إليه.

فاقرأ القرآن تريد أن تعرف الأنبياء، اقرأ القرآن تريد أن تعرف أولياء الله، ومن أعظمهم وعلى رأسهم هؤلاء الأنبياء ستقف شهيدًا، ألست متيقنًا بما أخبرك النبي والنبي قد أخبرك في الأحاديث الصحيحة أننا سنكون معه-صلى الله عليه وسلم شهداء-، فاستعد لهذه الشهادة.

إذًا: سنهتم بأسماء الله-عزَّ وجلَّ-وبصفاته، وبأوصاف المؤمنين وبأوصاف ضدهم، وسنهتم باليوم الآخر، وسنهتم بالأنبياء، ثم ستقرأ في القرآن عظيم أخبار عمن سلف غير الأنبياء والمرسلين ستقرأ عِبر، ستقرأ أصحاب الكهف وصاحب الجنتين، وأصحاب الجنة، ستقرأ عِبر عن أقوام انظر كيف كانت هذه القصص، وكيف عاملهم الله فترى كيف يعامل الله عباده.

5) معرفة الأمثال في كتاب الله

وسترى في القرآن أمثال عظيمة ضربت سترى مثلًا لنوره–سبحانه وتعالى–في قلب المؤمن: {اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ}[1] ستقرأ هذا المثل في سورة النور وتفهمه لتبحث عن هذا النور في قلبك.

ستقرأ في سورة النور مثل لأعمال: {والَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمَالُهُمْ كَسَرَابٍ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ الظَّمْآنُ مَاءً}[2] فتفهمه فهمًا دقيقًا لكيلا تكون من أولئك القوم، والذي في الظلمات بعضها فوق بعض تقرأ فتفهم. فتقرأ في سورة إبراهيم مثل الشجرة التي ضربت وكيف هي جذور الإيمان في قلب المؤمن.

تقرأ أمثال القرآن وتعتني بها عناية خاصة فإنه لا يعقلها إلا العالمون، فاعتني بما ضرب من أمثال في القرآن! ليكن شغلك فهم القرآن وفهم كلام الله وفهم ما أخبرك الله به عن نفسه وأخبرك به عن أنبيائه ورسله وأخبرك عن النعيم الذي سيكون وماذا سيكون، كل هذه التفاصيل عليك بأن تجمعها من القرآن.

فإذا تبيّن هذا، أتى الآن كيف أقسم وقتي بالنسبة للقرآن وقراءته ومدارسته؟ نقول:

الوقت كله للقرآن بعد القيام بالفرائض والنوافل، فإذا وصلنا إلى التراويح التي مقصدها الرئيس–مقصود التراويح–**أن تقوم أطول ما يكون بالقرآن**، هذا مقصد التراويح الرئيس، ماذا تفعل؟ صلاة، الله–عزَّ وجلَّ–شرعها في رمضان لكي تقوم فيها بالقرآن، فسيكون وقتك أيضًا مشغول بالقرآن، أي سأهتم بأي شيء؟ بالفرائض، بالسنن النوافل، إلى أن أصل إلى بقية وقتي، قمت بالصلاة وصمت، بقي ماذا؟ بقي مساحة الوقت الباقية، كلها للقرآن إلى أن أصل للتراويح سيكون أيضًا القرآن شغلي، فلذلك من السنَّة في قيام النبي–صلى الله عليه وسلم–أنه كان يطيل القراءة فكان يقرأ البقرة وآل عمران والنساء في ركعة واحدة ليس على العجلة، إنما على مهل؛ لأن كل الوقت يقضيه في القراءة أكثر ما يقضيه في ركوعه وسجوده، نحن عندنا مشكلة سرعة في القراءة يقابلها أيضًا سرعة في الركوع والسجود ويقابلها إطالة في الدعاء فيكون هذا على خلاف الطريق.

إن ما تقرؤه من قرآن فتسمع فيه دعاء الأنبياء والأولياء وما فيه من وعود ورجاء فتسأل هنا وتسأل هنا وتستعيذ هنا وترجو هنا وتخاف هنا إنه أعظم دعاء! كيف ما تتحرك قلوبنا مع القرآن وتتحرك مع كلام الخلق؟ كيف يحصل بكاء في الدعاء ونقرأ كلام الله العظيم وما نجد في نفوسنا حركة ولا شجون ولا بكاء؟! إنه انقلاب الأمر علينا، هذا من الانقلاب، وإلا فالحق أن يكون الإطالة للصلاة والقرآن، والاختصار لدعاء الوتر.

---

(1) [سورة النور: 35]

(2) [سورة النور: 39]

إذًا معنى ذلك أنني سأشغل نفسي في كل فراغ اليوم بعد الفرائض وأعتني في التراويح بأكثر وقت أقضيه في قراءة القرآن. ولذلك يحبذ أن تكون فرصتنا نحن أحسن أن نصلي في بيوتنا، يحبذ أن تصلي في بيتك، فتكمل ما تقرؤه، يعني أنت بدأت مثلًا تقرأ البقرة قرأتها في نهارك ساعة وبعد الظهر ساعة وبعد العصر تيسر معك ساعة، لازلت تكرر وتفكر، فقف في التراويح أكمل ما قرأت، وقد ورد عن جار لابن عباس أنه سئل عن قراءة ابن عباس في قيام الليل فقال: يقرأ ثم يسكت كما أحدثك وليس بالطويل. أي يقرأ ثم يسكت دقيقتين ثلاثة ثم يكمل القراءة فقال: ما يصنع؟ قال يفكر في تأويله، وهو في الصلاة، طبعًا لأن هذه الصلاة نافلة، فهو يفكر في تأويله فأين تفكيرنا في تأويله؟!

سر على ما سار الأولين، سر على ما كان السلف الصالح، إنهم خير قوم سبقوك فنحن في شوق أن نلحقهم فإذا كنت في شوق أن تلحقهم افعل ما فعلوا، المقصد الآن لا تجري وأنت تقرأ القرآن، تمتَّع به، إنك مأجور على كل حرف تقرؤه فلو كررت ما كررت، وكررت ما كررت أنت لازلت مأجورًا.

نختم لقاءنا بخمس وصايا:

الوصية الأولى التي نوصي بها في هذا الشهر العظيم: أن نستقبله بالتوبة.

فإن القلوب التي مُلئت بالذنوب تعيق من الانتفاع بالأوقات والأعمال، نوصي بعضنا بالتوبة لأن القلوب التي مُلئت بالذنوب تعيق الإنسان عن الانتفاع بالفرص.

الوصية الثانية: نوصي بعضنا بعبادة الاستعانة.

فأكثروا من ذكر (لا حول ولا قوة إلا بالله)، أكثر من قول: بسم الله. على كل حالك، أكثر من دعاء: اللهم أعني على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك، أكثر من كل ذكر فيه طلب للعون.

الوصية الثالثة: اعتني أول ما تعتني بالفرائض، فإن صلوات الفرض أعظم الأمور في رمضان، وصيامه من أعظم الأمور

الفرائض هذه تتمثل في (صيامنا وفي صلاتنا) أتقن صلاة الفرض قبل أن تفكر في النافلة، أتقن الصيام في نهارك قبل أن تتكلم عن ليلك، لا تجعل قواك للقيام وتترك النهار الذي هو وقت الصيام! إن بقاءك مستيقظًا متمتعًا بصومك ذاكرًا تاليًا مسبحًا تصلي الضحى تذكر الله يزيد في ميزانك، احتسب جوعك وعطشك وألمك وطوال النهار احتسبها ولا تضيعها بكلام ليس له قيمة، احذر! فقد صارت تنطلق على ألسنة الناس أنواع من سب الدهر وهم لا يشعرون، يتكلمون عن الأيام وعن الساعات وعن الغروب والشروق بطريقة لا تليق بالمؤمن، فهذه أفعال الله! أي يطول النهار يقصر اليوم يتقدم الفجر يتأخر هذا كله من فعل مَن؟ من فعل لله فلابد أن نتأدب مع الله!

لا تجمع قواك للقيام وتترك الصيام الذي هو في وقت النهار على أن تقضيه في النوم، كن حذرًا! الذي يصوم وهو نائم ليس مثل الذي يصوم وهو مستيقظ لا يكونون في منزلتهم سواء! وإن كان هذا صائم وهذا صائم ما ننكر ذلك، هذا صائم وهذا صائم لكن أنتم تعرفون كالمصلي والمصلي. بجانب بعضهم البعض لكن بينهم كما بين السماء والأرض.

فنسأل الله–عزَّ وجلَّ–أن يوقظ قلوبنا ويبعد عنَّا الكسل الذي أرهقنا، نستعيذ بالله من الكسل!

الوصية الرابعة: نوصي بعضنا بالعناية بالقرآن من جهة فهمه وقراءته واشغال الوقت به.

الوصية الخامسة: نوصي بعض بالأعمال التي فيها نفع متعدي كإطعام الطعام، وكتفريج الكرب.

فإن هذا الشهر فيه بركات وخيرات والأعمال فيه مضاعفات فلا تحرم نفسك في كل باب أن تقوم بعمل خصوصًا الأعمال التي فيها نفع متعدي على المسلمين.

أسأل الله بمَنِّه وكرمه أن يجعله شهرًا مباركًا وأن يصلح قلوبنا وأعمالنا.